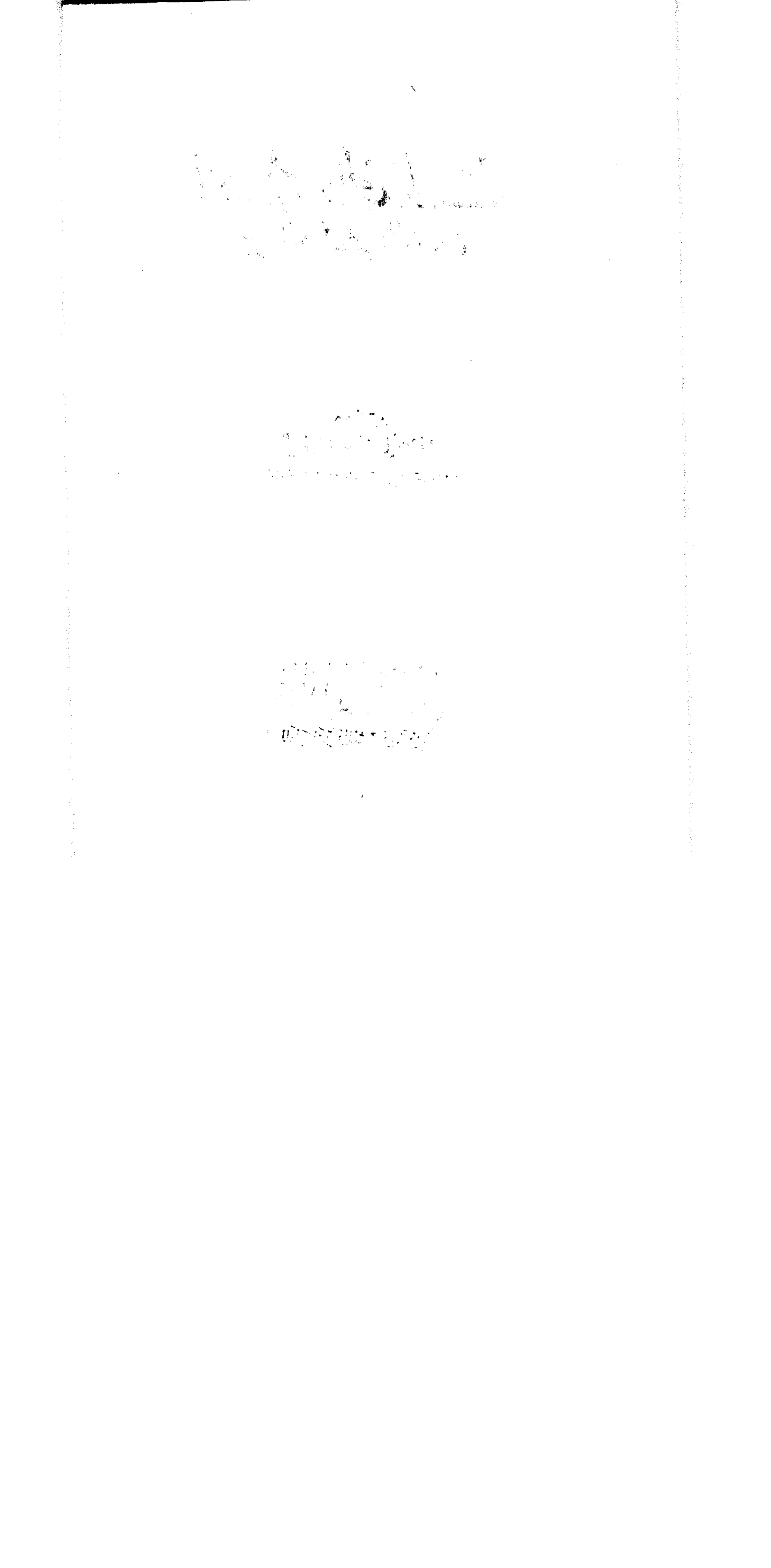
الخمور والمخدرات
بين العلم والدين

دكتور
محفوظ علي عزام
كلية الدراسات العربية / جامعة المنيا

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع



مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والســلام على خير الخلق أجمعين . ونعوذ بالله من شرور أنفســنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومــن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

أما بعد فإننا نتناول فى هذه الصفحات موضوعا خطيراً يهدد حياة الأفراد والجمــاعات فى كل زمان ومكان .

هذا الموضوع هو داء الخمور والمخدرات وما يحدثه من أضرار صحية وخلقيــة ومالية فى الفــرد والمجتمع . فالخمور والمخدرات داء خطير وشر مستطير ومرض عضال ابتليت به الأمم والشــعوب قديمــاً

وحديثاً ، سواء كانت متحضرة أو متبدية ، شرقية أو غربية .

بيد أنه من الإنصاف أن نقول إنه لم يستطع دين ولا مذهب ولا قانون ولا حكومة أن تعالج هذا المرض بمثل ما عالجه الإسلام ، فعلى إثر آية واحدة من القرآن أريقت دنان الخمر فى طرقات المدينة المنورة امتثالا لأمر الله الذى أمر بتحريم الخمر وكل مسكر .

على أية حال سأتناول فى هذه العجالة التى جعلت عنوانها « الخمور والمخدرات بين العلم والدين » النقاط التالية :

فأولا سأعرض للمحة تاريخية عن الخمور والمخدرات لنتعرف على جذورها التاريخية فى الماضى البعيد .

وسأعرض – ثانياً – للتعريف بالخمور والمخدرات فى صورة سريعة .

وثالثاً سأعرف بمشكلة الإدمان والركائز التى يقوم عليها .

ثم أحاول – رابعاً – تحديد أسباب تعاطى الخمور والمخدرات ودوافع إدمان هذه السموم .

وخامساً سأبين مضار الخمور والمخدرات على الصحة الجسمية والنفسية ، ثم مضارها الخلقية والاجتماعية .

وفى النهاية سأشير إلى مدخل لعلاج هذه المشكلة الخطيرة التى عالجها الإسلام فى يسر وسهولة .

وأسأل الله – تعالى – أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين ..

د. محفوظ عزام

١ — لمحة تاريخية

يمكن القول بأننا لا نعرف بالضبط متى ابتدأ الإنسان تناول الخمور والمخدرات ؛ ولكن يعتقد أن ذلك كان فى تاريخ متقدم جداً عندما انتبه إلى التأثير الذى يحدثه تعاطى المواد المختمرة فى الطبيعة .. أى التى يتكون فيها الكحول عند فسادها وتخمرها .

وتفيد المراجع التاريخية أن الإنسان ابتدأ يعرف ما للكحول من أضرار صحية منذ سنة ٢٦٩٧ قبل الميلاد على الأقل ؛ فقد ورد أن القيصر الصينى « شانونج » قد تحدث فى تسجيلاته الاثنى عشر — فى تلك الحقبة من التاريخ — عن بعض ما لتعاطى الكحول من أضرار صحية ، ووصفه بمقصر العمر .

كما وجد فى الآثار المصرية التى يرجع تاريخها إلى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد رسوم توضح كيفية صنع الجعة (البيرة) وأعراض التسمم الحاد الذى يحدثه الكحول .

ثم جاء حكماء وشعراء الإغريق والرومان ووصفوا فى مؤلفاتهم وأشعارهم ما للكحول من أضرار صحية على الإنسان وانتقال هوس المعاقرة (الإفراط فى تعاطى الكحول) إلى الذرية .

وقد اشتهر عن قدماء الجرمان (الألمان) فى منطقة حوض نهر الراين إفراطهم فى شرب الخمر — النبيذ الذى يصنع من العنب والذى يزرع فى هذه المنطقة — وإفراطهم فى المناطق الأخرى من ألمانيا بشرب نوع آخر من المشروبات الكحولية يسمى MET ويصنع من تخمير عسل النحل مع الماء . وقد أشار « تاتسيتوس » فى مؤلفه عن « الجرمان » إلى ذلك وقال إن الجرمان يواصلون الشرب

(المعاقرة) فى الليل والنهار ، وأنه من الممكن إبادتهم بهذه « العلة » كما يمكن إبادتهم بالسلاح إذا قدم لهم القدر الكافى من الخمور أو المشروبات الكحولية .

وظل الإفراط فى المعاقرة بعد ذلك يظهر عند « الجرمان » فى حقبات من التاريخ مما اضطر ملك بروسيا « فريدريك الكبير » فى القرن التاسع إلى اتخاذ إجراءات للحد من ذلك ، خصوصا فى أوساط الرهبان ورابطات التلاميذ والطلاب الجامعيين .

ومنذ القرن السادس عشر الميلادى لعب الكحول دورا تاريخياً فى إخضاع الشعوب للمستعمرين حتى قيل « إن الكحول صنع تاريخا فى البشرية » [1] .

---

(١) د. امين رويحة : التغذية والمشروبات الروحية ، دار القلم ــ بيروت سنة ١٩٧٩ ص ١٧٤ - ١٧٥

ومن جهة أخرى ، فلقد عرف عـرب الجاهليـة الخمر وأفرطوا فى شربهـا وتفننـوا فى أسـمائها ومسمياتها ؛ غير أن كثيراً من عقلاء العرب قد حرموا الخمر على أنفسهم بأنفسهم حينما رأوا فعلها فى العقل والجسم . وممن حرمها فى الجاهلية وأدرك الإسلام « أسد بن كرز » ، وهو القائل حين أدرك الإسلام :

كتـــاب الله ليس له شريك
ووعدت المدامة والنـــدامى
وحرمت الخمور وقـد أرانى
بها سدكا [٢] وإن كانت حراما

ومن حرمها على نفسه طول حياته أبو بكـر الصديق رضى الله عنه ؛ فقد أخرج ابن عساكر : عن أبى العالية الرياحى قال : قيل لأبى بكر فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله . فقيل : ولم ؟

---

(٢) سدكا : مولعا .

قال : كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي ، فإن من شرب الخمر كان مضيعا عرضه ومروءته .

وممن حرمها على نفسه ــ أيضاً ــ عبد الرحمن ابن عوف ، والعباس بن مرداس ؛ وقد قيل له حين كبر : لو أخذت من الشراب شيئاً فإنه يزيد في قوتك فقال : لا أدخل برأسي شيئاً يحول بيني وبين عقلي [٣] .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن « الحشيش » قد دخل مع « التتار » في القرنين السادس والسابع الهجريين [٤] .

* * *

---

(٣) الشيخ محمد الجيلاني حمزة : كتاب الاشراق الاسلامي جـ ١ ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ ، الشركة التونسية للتوزيع ــ تونس .

(٤) ابن تيمية . مجموع الفتاوى جـ ٣٤ ص ٢٠٥ سنة ١٣٩٨ هـ

٢ ـ التعريف بالخمور والمخدرات

(أ) التعريف بالخمر والمخدرات :

يمكن القول بأن الخمر داء الأفراد وسرطان الأمم ، وأنها مرض المجتمعات الذى ينخر فى عظامها وعقول أبنائها ، وأنها السم الزعاف الذى يقضى على شبابها وشيوخها .

فلقد وصفها النبى صلى الله عليه وسلم بأنها « داء » ؛ حيث يروى طارق بن سويد الجعفى أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمر ، فنهاه وكره أن يصنعها ، فقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » . وفى رواية ، قال : قلت : يا رسول الله إن بأرضنا أعشابا نعتصرها فنشرب منها ، قال : « لا » . فراجعته ، قلت : إنا

نستشفى للمريض . قال : « إن ذلك ليس بشـفاء ولكنه داء » [٥] .

ويقول الدكتور « أوبرى لوس » رئيس قسـم الأمراض النفسية فى جامعة لنـدن فى أكبر وأشـهر مرجع طبى بريطانى : « مرجع برايس الطبى » :

« إن الكحـول هو السـم الوحيـد المرخص بتداوله على نطاق واسع فى العالم كله ويجده تحت يده كل من يريد الهروب من مشاكله . ولذا يتناوله بكثرة كل مضطربى الشـخصية ، ويؤدى هو إلى اضطراب الشخصية ومرضها . إن جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم وتؤدى إما إلى الهيجان أو الخمود . وقد تؤدى إلى الغيبوبة . أما شاربو الخمر المزمنون فيتعرضون للتحلل الأخـلاقى الكامل مع الجنون [٦] » .

---

(٥) رواه مسلم .
(٦) د. محمد على البار : الخمر بين الطب والفقه دار الشروق جدة ص ٢١

على أية حال تعرف الخمر فى اللغة بأنها كل مسكر مخامر للعقل مغط عليه . وخمر الشيء ستره، وخمر الشهادة كتمها ، وخمر وجهه غطاه ، وأخمر توارى ، وخامر الشيء خالطه ، وخامر القلب داخله ، وخامره الداء ، أى دخل جوفه (٧) .

والحق أن الخمر تغطى المناطق المخية العليا وهى الموجودة فى القشرة لفصى المخ وهى مراكز الإرادة والأخلاق والفكر والروية ، أى ما يجمع تحت اسم العقل . فوظيفة الخمر هى إزالة ضوابط العقل .

أما تعريفها فى الفقه الإسلامى ، فهى كل ما كان مسكراً ، سواء كان متخذا من الفواكه أو من الحبوب أو من الحلويات وسواء كان مطبوخا أو نيئاً ، وسواء كان معروفا باسم قديم أو باسم

(٧) لسان العرب ، والقاموس المحيط ، مادة « خمر » .

مستحدث . فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الخمر كل ما خامر العقل وستره من غير عد ولا إحصاء [٨].

وهم يستدلون على ذلك بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ليشربن أناس من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها » [٩] . وقال عليه السلام : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ؛ وقال عليه السلام : « إن من الحنطة خمرا ، ومن الشعير خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا ؛ وأنا أنهى عن كل مسكر » [١٠] .

ويدخل فى تعريف الخمر الأنبذة الموجودة

---

(٨) جامعة الامام محمد بن سعود : أثر تطبيق الحدود فى المجتمع ، مطابع الجامعة بالرياض ص ٢٣٧

(٩) رواه احمد فى مسنده وابو داوود فى سننه .

(١٠) رواه ابو داوود وغيره .

بأنواعها المختلفة والمشروبات المخمرة ، والخمور المقطرة .

فالخمر كل شراب مسكر دون النظر إلى ما صنع منه . ويرى بعض الفقهاء أن الخمر هي ما أسكر من عصير العنب خاصة ، وهذا رأي ضعيف [11] .

ويدخل ابن القيم بعض أنواع المخدرات في مسمى الخمر ، فيقول في كتابه : « زاد المعاد » : « إن الخمر يدخل فيها كل مسكر ، مائعا كان ، أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، فيدخل فيها لقمة الفسوق والفجور — ويعني بها الحشيشة — لأن هذا كله خمر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم الصريح .. فالخمر ما خامر العقل » [12] .

---

(11) توفيق على وهبة : الجرائم والعقوبات في الشريعة الاسلامية ـ عكاظ ، سنة ١٤٠٠ هـ ص ١١٨
(١٢) ابن القيم : زاد المعاد .

وتعرف الخمر فى الكيمياء بأنها الأشربة التى بها كمية من الكحول . والكحول أو الغول فى أصل اللغة العربية هو ما ينشأ عن الخمر من صداع وسكر ، لأنه يغتال العقل . وقد نفى الله تعالى عن خمر الجنة هذه الصفة فقال : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » (١٣) .

وإذا كانت المخدرات بأنواعها المختلفة من حشيش وأفيون وهيروين ومورفين وكوكايين تحدث نفس التأثيرات التى تحدثها الخمور فى أغلب الأحوال فلا بأس من إدراجها مع الخمور كما فعل العلامتان ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله .

(ب) التعريف بالشرب والسكر :

اختلف الفقهاء فى تعريف الشرب ، فهو عند الأئمة مالك والشافعى وأحمد شرب المسكر ، سواء سمى

---

(١٣) سورة الصافات : ٤٧

خمرا أو لا ؛ وسواء أكان عصيراً للعنب أو لأية مادة أخرى كالبلح والزبيب والقمح والشعير والأرز ؛ وسواء أسكر كثيره أو أسكر قليله .

أما الإمام أبو حنيفة ، فالشرب عنده قاصر على شرب الخمر فقط ، سواء كان ما شرب كثيراً أو قليلا . والخمر عنده اسم لما يأتى :

١ ــ ماء العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد .

٢ ــ ماء العنب إذا طبخ فذهب أقل من ثلثيه وصار مسكراً .

٣ ــ نقيع البلح والزبيب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد .

والسكر عند الفقهاء هو فقد الوعى نتيجة تناول المادة المسكرة ، ويعتبر الشخص سكرانا إذا كان لا يعقل شيئاً ، فلا يعرف السماء من الأرض ،

ولا يفرق بين الرجـل والمرأة وكان يخلط فى كلامه مخالفاً عادته حال صحوه [١٤] .

* * *

---

(١٤) توفيق على وهبة : الجرائم والعقوبات فى الشريعة الاسلامية ص ١١٨ ، ١١٩

٣ ـ الادمـــان

يقصد بالإدمان التعود النفسي والجسـدي على عقار معين بحيث يؤدي سحب هذا العقار إلى ضرر نفسي وجسماني ، كما أن مفعول المادة المسببة للإدمان يقل مع الزمن مما يؤدي بالمتعاطي إلى زيادة الكمية المتناولة باضطراد حتى يحصل على نفس الأثر الذي كان يحصل عليه .

فمدمن الخمر يضطر إلى تعاطي كميات أكبر ، فالكأس تصبح كأسين وثلاثة ، كما يضطر المدمن إلى تناول الكحول في فترات زمنية متقاربة [١٥] .

ويذكر الدكتور نبيل صبحي الطويل في كتـابه

(١٥) د. محمد على البار : الخمـر بين الطب والفقه ص ٧١

عن الخمر والإدمان الكحولى أنه فى اجتماع حدث عام ١٩٧٩ لبعض ممثلى الدول الأعضاء فى المكتب الإقليمى بشرق البحر المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية أن أعلن كل الحاضرين عن ارتفاع فى نسبة استعمال الكحول فى الدول التى يمثلونها ، وهى أفغانستان ، بنجلاديش ، مصر ، الهند ، إيران ، العراق ، لبنان ، باكستان والسودان وأن هناك صلة وثيقة بين كمية الخمور المستهلكة وبين عدد المشكلات الناتجة عنها ، فإذا تعاطى الناس للكحول ازدادت المشكلات ـ كما وكيفا ـ والعكس صحيح ، والمثل البارز الذى يضرب فى هذا المجال هو إحصاء الوفيات فى فرنسا ما بين عام ١٩٠٧ وعام ١٩٥٦ ، فلقد أظهرت تلك الإحصائيات أن نسبة الوفيات الناتجة عن تشمع (تليف) الكبد ـ والكحول من أسبابه ـ قد هبطت فى الفترات التى قل فيها استعمال الخمور بخاصة إبان الحربين العالميتين ـ الأولى والثانية ـ ثم ازدادت النسبة مرة أخرى

بازدياد استهلاك الكحول . لقد انخفضت نسبة الوفيات بهذا المرض – تشمع الكبد – بين البالغين الذكور بنسبة ٥٠ ٪ في كل فرنسا وبنسبة ٨٠ ٪ في في باريس وحدها حيث كان تقنين الخمور أكثر تطبيقا من باقي أنحاء فرنسا (١٦) .

فالإدمان نوع من التعود المطرد لأنسجة الإنسان على المادة الإدمانية واعتماد هذه الأنسجة عليها بحيث يؤدي الانقطاع المفاجيء عن تعاطيها إلى شعوره بأعراض معينة تدفعه إلى معاودة تعاطيها .

وتعرف هيئة الصحة العالمية « الإدمان الكحولي » بأنه « مرض مزمن يفصح عن أعراض في سلوك متضارب مريض ، ومن الأمور المصاحبة للإدمان تكرار استخدام المدمن للمادة الكحولية

---

(١٦) د. محمد عبد المنعم نور : الطب والمجتمع طبعة دار اللواء الرياض سنة ١٤٠٣ هـ ص ١٥٦ – ١٥٧ .

الإدمانية للدرجة التى تؤثر تأثيراً سيئاً على صحته واقتصادياته وأدواره ووظائفه » .

ويعرف الدكتـــور « هارى ملت » الإدمان بأنه اضطراب مزمن يكون فيه الشخص غير قادر لأسباب عضوية أو نفسية ــ أو الاثنين معا ــ على الامتناع عن الاســتهلاك المتكرر للكحول بكميــات تكفى لإحداث تسمم فى أنسجته ، وبالتالى ضرر لصــحته وعمله ومستقبله فى الحياة .

يتبين لنــا ممــا ســبق أن الإدمان الـكحولى اضطراب فردى ومشكلة صحية اجتماعيه فى نفس الوقت ، تتحدد بصفة أساسية بالظروف الشــخصية للمدمن ، وبرد الفعل من جهة المجتمع بالنســبة إليه وبالنسبة للإدمان الكحولى بصفة عامة ، وهى مــن هذه الزاوية التحليلية تبعد عن مجــرد التشــخيص الطبى ، ومن ثم الاكتفاء بالعــلاج الذى يقــوم به الطبيب لمراجعيــه من المدمنين ، إذ لابد من إدخال

عناصر أخرى سواء فى العلاج أو الوقاية . ونستطيع أن نتبين ذلك من تحليل الركائز التى يقوم عليها الإدمان وهى :

(ا) المادة الإدمانية (العقار) من حيث تركيبها وخصائصها وكيفية تعاطيها ومدى توافرها وسهولة الحصول عليها وتأصلها فى المجتمع .

(ب) شخصية المدمن وحالته الجسمية وعلله النفسية وخصائصه المولدية وثقافته ونظرته للحياة وقيمه وتاريخه التطورى وكل ما يتصل بنسقه الشخصى .

(جـ) بيئة المدمن بكل ما يحمله اصطلاح البيئة من معان علمية ويدخل فى عداد البيئة الأسرة والضوابط الاجتماعية والدينية وسبل التربية والتنشئة الاجتماعية والمعايير والأنساط والظروف

الاقتصادية والتشريعات وأساليب شغل أوقات الفراغ والصحبة والقدوة وغيرها من عناصر الوسط الذى يعيش فيه المدمن ويتفاعل معه [17] .

* * *

(١٧) المرجع السابق .

٤ ـ اسـباب التعاطى ودوافع الأدمان

هناك ـ بالطبع ـ فارق بين أن تشرب أو تتعاطى الخمور والمخدرات بصفة غير منتظمـة وعلى فترات متباعدة فى بعض الأحيان أو متقاربة فى أحيان أخرى، وبين أن تشرب وتتعاطى هذه السموم بانتظام واطراد فلكل حالة من الحالتين أسـبابها وعللهـا وإن كان الضرر حاصلا من كلتا الحالتين ، مع الاختـلاف فى سرعة الضرر .

فالاعتقاد السائد بأن قليـلا من الخمـر ينعش القلب ويفتح الشهية للطعام دون أن يسىء إلى صحة الإنسان هو اعتقاد مرفوض من وجهـة نظـر الطب الحديث . فالطب الحديث يرى أن التأثير الذى يتركه الإدمان على شرب الخمر من الناحية الصحية وعلى

الكبد والأعصاب بشكل خاص هو نفس التأثير الذى تفعله جرعات الخمر القليلة التى تدخل الجسم يومياً مع الطعام أو قبله ، مع فارق بسيط هو أن الإدمان يسيء إلى الصحة بشكل سريع وفورى بينما الشراب اليومى الذى يمارس على سبيل الترفيه ، يسمم الجسم ببطء دون أن يترك شعوراً بالألم أو انهيارا ملحوظاً (١٨) .

(ا) اسباب تعاطى الخمر او المخدر :

يتعاطى بعض الناس الخمور والمخدرات ويدفعهم إلى ذلك واحد أو أكثر مما يلى :

١ ــ حب التقليد .

٢ ــ حب الاستطلاع ودافع الغواية الشيطانية.

---

(١٨) د. على محمود عويضة : حق البدن ، وكالة المطبوعات ــ الكويت ص ١٩٨ .

٣ ـــ الظن بأنها تعطى شاربها الصحة والعافيـة والشجاعة .

٤ ـــ الظن بأنها تعين على مباشرة الجنس بلذة فائقة .

٥ ـــ الظن بأنها تسلى الهمـوم وتفرج النفس وتجلب السعادة [١٩] .

(ب) اسباب الادمان ودوافعه :

يمكن القول فيـما يتعلق بمسـألة الإدمان بأن أسبابه غير معروفة بوضوح إلى الآن ، فهناك عوامل كثيرة متـداخلة ، وتتفاعل جميعا لتسبب الإدمان ، من هذه الأسباب :

١ ـــ وفرة الخمر وسهولة الحصـول عليهـا فى

---

(١٩) الشيخ محمد الجيلانى حمزة : كتـاب الاشراق الاسلامى جـ ١ ص ٢٢٤

متناول أى شخص فى أوربا وأمريـكا وفى كثير من البلاد العربية والإسلامية .

٢ ــ اضطراب الشخصية .. وقد يكون هـذا الاضطراب ناتجاً عن عوامل وراثية أو بيئية .

٣ ــ المصاعب والمشاكل التى يواجهها المرء فى حياته ، كالفشل فى العمل أو الدراسة أو الزواج أو الإخفاق فى شيء من أى نـوع كان .. أو العيش فى أوضاع لا يطيقها ولا يرضى عنها .

٤ ــ مجاراة الأصدقاء والخـلان وبخاصـة فى الحفلات الاجتماعية [٢٠] .

ومن الجدير بالذكر القول بأن أسباب الإدمان على المكيفات والمخدرات لا تختلف كثيراً عن أسباب الإدمان الكحولى ؛ ففى الإدمان بصفة عامة نجد سببا

---

(٢٠) د. محمد على البار : الخمر بين الطب والفقه ص ٢٠٩

مشتركاً هو الهروب من الواقع ومن الذات ومن الجماعة أيضاً . وكما هو الحال فى الكحول نجد أن المخدرات الأخرى تمثل نوعا من التكيف الفج غير الناضج المشوب بالقلق والاضطراب والافتقار إلى الأمن .

إن اختيار العقار الإدمانى من جانب المدمن له أهميته ودلالته ، ولقد أثبتت البحوث والدراسات فى هذا المجال عدة أمور منها ما يأتى :

١ ــ استخدام العقار المخدر واختياره دون غيره نمط سلوكى تلعب فيه المؤثرات الاجتماعية دوراً رئيسيا .

٢ ــ يعمد المدمن أولا إلى التعرف على العقار وخصائصه ومزاياه من وجهة نظره ، وذلك عن طريق احتكاكه بالآخرين الذين سبق لهم مثل هذه التجربة الإدمانية .

٣ ــ تدل الدراســات التى أجريت على « المارجوانا » فى الولايات المتحدة على غلبة الأسباب الاجتماعية على الدوافع النفسية فى بدء العملية الإدمانية . ويؤكد أكثر من باحث فى ميدان الإدمان أن الضغوط الاجتماعية كان لها المقام الأكبر لدى معظم المدمنين فى مستهل إدمانهم .

٤ ــ تعد الروابط والوشائج والصلات الشخصية من العوامل الفعالة فى الإدمان .

٥ــ تسود بين جماعات المدمنين روابط شخصية متينة ومشاعر متبادلة من شأنها أن تؤدى إلى استفحال داء الإدمان (٢١) .

* * *

---

(٢١) د. محمد عبد المنعم نور : الطب والمجتمع ص ١٥٩

٥ ـ مضار الخمور والمخدرات

توطئـــة :

إن تعاطى الخمور والمخدرات يخدر العقـل ، فشاربهما يفقد شعوره وإحساسه مدة ولكنه بعد أن يصحو يكون كئيباً وحزينا ؛ وإدمانهما يؤدى إلى المرض والضعف والفقر والجنون .

فتعاطى الخمور والمخدرات يؤدى بصاحبه إلى إضاعة المال والعقل والصحة والشرف والدين والحياة نفسها .

لهذا حرمها الدين وشدد النكير على متعاطيهما ومدمنهما ، كما ورد ذلك فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال علماء المسلمين .

فهذا ابن تيمية يقول :

« فهــذه الحشــيشة الملعــونة » هى وآكلهـا ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله وسخط رســوله وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله .. فإنها مشتملة على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه .. ولا خير فيها .. وتورث خيالات فاســدة .. وأين هؤلاء الضلال فما تورثه هــذه الملعونة من قلة الغيرة ، وزوال الحمية حتى يصير آكلها إما ديوثا ، وإما مأبونا ، وإما كلاهما . وتفســد الأمزجة حتى جعلت خلقا كثيراً مجانين وتجعل الكبــد بمنــزلة الإسفنج ، ومن لم يجن منهم فقد أعطته نقص العقل ، ولو صحا منها فإنه لابد أن يكون فى عقله خبل .. ثم إنها تورث من مهانة آكلها ، ودناءة نفسه ، وانفتاح شهوته مالا يورثه الخمر . ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر ، وإن كان فى الخمر مفسدة ليست فيهـا وهى الحدة ، فهى بالتحريم أولى من الخمر ، لأن

ضرر آكل الحشيشة على نفسه أشد من ضرر الخمر ، وضرر شارب الخمر على الناس أشد » (٢٢) .

وذكر ابن حجر الهيثمى عن بعض الأطباء أنهـا تضر بالرئة ، وتصدع الرأس وتظلم البصر ، وتصر المعـدة ، وتجفف المنى ، وتؤثر على القلب وأن فى تعاطيها مائة وعشرين مضرة دينية ودنيـوية ؛ وأن هذه القبائح كلها موجودة فى الأفيون ، بل يزيـد الأفيون بأن فيه مسخا للخلقة كما يشاهد من أحوال متعاطيه (٢٣) .

(ا) المضار الصحية :

إن الخمور والمخدرات لها تأثيرها الضار جـداً على أجهزة الجسم المختلفة .

---

(٢٢) ابن تيمية : مجمـوع الفتاوى جـ ٣٤ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
(٢٣) د. صالح بن عبد العـزيز آل منصـور : موقف الاسلام من الخمر ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

١ ـ مضار الخمور على الجهاز العصبى :

إن أهم جهاز يقع تحت تأثيرات الخمر الضارة هو الجهاز العصبى ، والخمر تنتشر فى الدم ومنه إلى كل الأنسجة ، ولكنها لها تأثيرها الخاص على الجهاز العصبى المكون من مواد دهنية بروتينية ، إذ للكحول خاصية الاتحاد مع المواد الدهنية ، بل إذابتها .

وتأثير الكحول على خلايا الجهاز العصبى هو تخديرى وتثبيطى . وأول ما تتأثر هى خلايا القشرة من المخ ، أى الخلايا المسئولة عن التفكير والإرادة والحكمة والعلم .

والكحول من المواد التى تسبب الإدمان ، إذ الإدمان لا يحدث إلا نتيجة تأثير الخمر على الجهاز العصبى وتأثيرها على مكونات الخلايا العصبية ابتداء من النواة التى هى مركز الخلية وانتهاء

بالجسيمات الصغيرة الموجودة فى بروتوبلازم ــ جبلة ــ الخلية .

وتأثيرات الخمور على الجهاز العصبى تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

ــ القسم الأول :

وينتج عن آثار الكحول السمية المباشرة على الجهاز العصبى وتسبب ضمورا فى الخلايا التى للمخ والقنطرة والمخيخ والعضلات .

ــ القسم الثانى :

وينتج عن التعود والإدمان على الكحول وتسبب الهذيان الارتعاشى ، والصرع والهلوسة .

ــ القسم الثالث :

وينتج عن نقص مجموعة فيتامين «ب» المركب .

وهذا النقص ناتج عن شرب الخمور التى تؤدى إلى سوء التغذية المصاحبة للإدمان ، وذلك لالتهاب جدار المعدة والأمعاء مع تكرار القيء وفقدان الشهية وسوء الامتصاص من الأمعاء ، كما أن مدمن الخمر لا يهتم بشراء الطعام الجيد لانشغاله بشرب الخمور وأحيانا كثيرة لفقده عمله ومصدر دخله نتيجة شربها .. وكذلك فإن الكحول مادة ذات سعر حرارى عال وتتطلب لأكسدتها فيتامين « ب » بكميات كبيرة .

والآن لنأخذ فى شيء من التفصيل ونبدأ بالقسم الأول وهو ناتج عن الآثار السمية المباشرة للكحول على المخ .

(ا) ضمور الخلايا :

وهنا نجد أن خلايا القشرة من المخ ، التى تتحكم فى التفكير والإرادة ضامرة ومتآكلة .. ولعل كثيراً من آثار الكحول على الجهاز العصبى من هذا الخلل العضوى .

وتبدأ التغيرات فى شخصية المدمن وأخـلاقه ، فيصبح المدمن مهملا سريع الغضب ، متقلب المزاج ، ويهمل عمله وأهله ونفسه ، وقد يمكث أياما دون أن يأكل ، كما تبقى هيئته رثة ومزرية .

وتتراوح حالته النفسية من الفرح إلى الهيـاج إلى البكاء دون أى سبب ظاهر ، فتراه تارة يقهقـه فتظنه سعيداً ، ولأتفه كلمة يثور ويخور ويقلب الحانة على أم رأسها .. وفجأة يبكى ويعتذر .. وتصـبح حياته الزوجية جحيما لا يطاق ، فهو مهمل لبيتـه وزوجته وأطفاله .. وهو سريع الغضب يثور لأتفـه الأسـباب .. ويحطـم كل شىء أمامـه .. ويهين زوجتـه وأطفـاله ويضربهـم ، وتتـولد لديـه الاعتقادات الزائفة .. وتزداد حالة الشك والريبة فى كل من حـوله حتى تصـل إلى حالة « البـارنويا PARANOIA وخاصة فيما يتعلق بزوجته وأصدقائه ، ويتهم زوجته وأقاربه بارتكاب الفاحشة .. ويفقـد

قدرته الجنسية تماماً رغم ما يبذله من تهتك فى هذا السبيل ، فهو يسهر فى النوادى الليلية .. ويتظاهر بالقدرة الجنسية رغم فقده لها .. ويدخل فى أطوار من الشذوذ الجنسى والسلوكى .

وتتفكك نتيجة لذلك الأسرة ويمقته أطفاله ، بل ويمتلئون بالرعب من وجوده ، وتنفك الأسرة والحياة الزوجية بالطلاق أو تستمر على أساس غير شرعى .

ويصاب المدمن بنوبات من الرعب والكآبة الشديدة والقلق ، وهى الحالة المعروفة باسم المناخوليا « السوداوية » . كما تكثر فى المدمنين حالات « الفصام الشخصى ــ الشيزوفرنيا » وهو مرض نفسى خطير يتلقى المريض فيه أوامر وهمية ويدور عراك وصراع فى دماغه باستمرار ويضطر لتنفيذ هذه الأوامر مهما كانت سخيفة وغريبة ، لأنه لا يملك لها دفعا ، كما يشعر أن عقله وتفكيره ، بل

وجسده واقع تحت تأثير قوى خارجية غريبة تفرض على تفكيره وجسده وسمعه وبصره ما تريد . ويتفكك بذلك رباط الشخصية من المعـرفة إلى الإرادة إلى العاطفة .

وفى هـذا المرض بالذات قـد تكون معلومات الشخص عن الأشياء طبيعية ولكن شخصيته محطمة تماماً والارتباط بين المعرفة والعاطفة والإرادة مفكك نهائيا .

وكثيراً ما تنتهى هذه الحالات بالانتحار .

وتكثر حالات الهلوسة الحـادة عند المدمنين . وتشمل رؤية الأشباح وسماع أصوات موهومة وشم روائح غريبة لا وجود لها مطلقاً . بل ويحس المريض ويجزم أن هناك حشرات تحت جلده .. كمـا تتأثر قدرة المريض على اللمس .

ويصاب مدمنو الخمر بارتعاش واختـلاج فى

العضلات وخاصة عضلات اليدين واللسان والوجه بصورة لا إرادية وفجة . وهى ناتجة عـن إصـابة للنـويات القـاعدية الغـائرة فى المخ تحت القشرة والمسئولة عن تنظيم حركات العضلات ونغماتها . فإذا ما أصيب هذه النويات أصيب المرء بنوع من الشلل الرعاش .

وكثيراً ما يصاب المدمن بحالة تعرف بجنـون الشراب ؛ وفى هذه الحالة يفقد الشخص جميع قدراته على التحكم فى نفسه ويجد نفسـه مدفوعا بقـوى قاهرة تدفعه دفعاً إلى المزيد من الشراب وكلما زاد فى الشرب زاد السعير الذى يتأجج فى داخله حتى يفقده الوعى ويدخل فى غيبوبة عميقة قد يفيق منها وقد لا يفيق .

وتصل حالة كثير من المدمنين إلى مرحلة الجنون الكحولى . وفى هذه الحالة يفقـد المدمن قدراته العقلية تماماً ، كما يفقد ذاكرته ويصاحب ذلك هياج

شديد مع وجود الاعتقادات الباطلة ويصحب ذلك حالات هلوسة حادة .

فنجــد أن تصرفات المريض شــاذة جــداً فهو ــ مثلا ــ يتبول فى وسط شارع عام أو يخلع ثيابه فى وسط الزحام .. ويفقد قدراته العقليــة بالتدريج فيفقد أولا التمييز بين الأشياء المعنوية ، ثم يفقــد قدرته على التمييز بين الأشياء الحسية والمادية حتى يفقد قدرته على معرفة الأيام ، بل وقدرته على معرفة المكان الذى هو فيه . وأيضاً يفقد قدرته على القيام بأى عملية حسابية ، بل إنها تثير غضبه وهياجه على الرغم من أنه قد يكون محاسبا .

ويفقد ذاكرته للحوادث الجديدة منها والقديمة .. على خــلاف مرض آخــر يســمى « عصــــاب كورساكوف » يصيب المدمنين أيضــا ؛ وفيه ــ أى عصاب كورساكوف ــ يفقد المريض ذاكرته للحوادث القريبة العهد بينما تكون ذاكرته للحوادث القــديمة

سليمة ، وتبقى لديه قدرة على التلفيق مما يبدو فى صورة منطقية .

أما فى حالة الجنون الكحولى فيفقد قدرته على صياغة الأمور بصورة منطقية البتة .. كما أنه يفقـد ذاكرته للحوادث القديمة والقريبة العهد على السواء .

وخلاصة الأمر ينتهى إلى حالة الجنون الكامل .

(ب) ضمور الخلايا بالمخيخ :

تصاب خلايا المخيخ بالضمور والتآكل والفساد ومن المعلوم أن المخيخ هو الذى يتحكم مع العصب الدهليزى فى قدرة الشخص على الوقوف دون أن يتأرجح وكذلك المشى دون أن يترنح ؛ وهما أيضـاً مسئولان عن قدرة الشخص على الثبات أثناء الحركة والالتفات فلا يقع إلى الأرض أثناء هذه الحركات .

ونتيجة لضمور هذه الخلايا يفقد المريض قدرته

على الوقوف أو المشى دون تأرجح أو ترنح ؛ كما تصاب مقلة العين بالاهتزاز السريع ويصاب الكلام بالتلعثم .

(ج) مرض مارشيا فافا بيجناص :

ويتميز هذا المرض بما يلى :

١ ــ اضطراب فى العاطفة .

٢ ــ اضطراب فى القدرات العقلية والمعلومات .

٣ ــ نوبات مختلفة من الهذيان .

٤ ــ نوبات الصرع .

٥ ــ تيبس فى العضلات ، ثم شلل تام فى الأطراف الأربعة .

(د) انحلال نخاع القنطرة الوسطى :

ويعانى المريض فيه من شلل بالنصف الأسفل من الجسم أو النصف الأعلى .

(هـ) النوبات الدماغية الكبدية :

وهذه نوبات هذيان وارتعاش وفقدان للوعى تصيب المرضى المصابين بتليف الكبد الذى يكون غالبا بسبب الخمور .

القسم الثانى :

وهو مجموعة من أمراض الجهاز العصبى ، وتكون نتيجة لإدمان شرب الخمور . وليست ناتجة عن نقص الفيتامينات المصاحبة للإدمان .

وهى ثلاثة أمراض :

١ ــ الهذيان الارتعاشى .

٢ ــ الصرع .

٣ ــ الهلوسة .

القسم الثالث :

وهو مجموعة من الأمراض التى تصيب الجهاز العصبى بسبب إدمان شرب الخمور ونتيجة لنقص فيتامينات « ب » .

وهى خمسة أمراض :

١ ـ التهاب الأعصاب المتعددة .

٢ ـ مرض فيرنيكيه الدماغى .

٣ ـ مرض البلاجرا .

٤ ـ عصاب كورساكوف .

٥ ـ التهاب عصب العين المؤدى إلى العمى (٢٤)

ومن الجدير بالذكر القول بأن بعض الاضطرابات العصبية الناتجة عن الإدمان الكحولى تنتقل بالوراثة

---

(٢٤) د. محمد على البار : الخمر بين الطب والفقه ص ٧١ ـ ١٠٥

فتصيب الجيل الجديد بآفات عصبية واضطرابات نفسية مختلفة فى شدتها وتأثيرها [٢٥] .

٢ ــ مضار الخمور على أجهزة الجسم الأخرى.

فللخمور تأثيرها على الدم حيث تمدد الأوعية الدموية التى ينشأ عنها احمرار الجلد والإحساس بالدفء ، وهذا يصحبه عادة هبوط قليل فى ضغط الدم ، وزيادة فى سرعة ضربات القلب [٢٦] .

ثم هى تضر بالكبد ضررا بليغاً ؛ فقطرات الخمر التى تدخل إلى الجسم هى بمثابة قطرات من السم تصوب إلى الكبد وتعمل على قتل خلاياه وتراكم الشحم فوق غشائه الخارجى الخارجى مما يشل

---

(٢٥) د. صالح بن عبد العزيز : موقف الاسلام من الخمر ص ٣٦

(٢٦) د. عويضة : حق البدن ص ١٩٩

حركته مع مرور الزمن ، ويؤثر على الصحة بصورة عامة .

وهى تسبب تغيرات واضحة فى الكبد ، وتؤدى إلى نــوع من التصلب أو التلف ، حتى لو شربت باعتدال ، وقبل التلف يتضخم الكبد ، وأحيانا يتورم الطحال ، وتتأثر الكليتان والقلب والشرايين .

وأغلب الذين يتورطون فى علاقات جنسية تؤدى بهم إلى أمراض تنغص عليهم حياتهم يكون تورطهم نتيجة شرب الخمر . هذا إلى أن شرب الخمر يمنــع تقدم علاج الأمراض التناســلية وينشط العــدوى الكامنة .

وكثيرا ما يكون السكر سببا لأمراض صــدرية ونزلات شعبية والتهابات رئوية خطيرة . كمــا يضر بأعصاب التناسل ضرراً بليغاً .

***

(ب) المضار الخلقية :

إن الخمور والمخدرات تذهب هيبة الإنسان وكرامته ووقاره من أعين الناس ، وتوقع النزاع والخصام بين الناس ؛ فإن السكير يسب ويلعن ويضرب ويعتدى على عفاف النساء فيزنى ويفسق ، وتنعدم منه المروءة والشهامة وينسى نفسه وبيته وأولاده ، وينسى واجبه ودينه وحقوق الناس عليه ؛ فهى مفتاح كل شيء . وصدق الله القائل :

« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٢٧) ..

وصدق رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث يقول « الخمر أم الخبائث » (٢٨) ، وقد سميت بذلك لأنها تخرج الإنسان عن حد العقل فيفعل فعل البهائم ..

---

(٢٧) سورة المائدة ٩١

(٢٨) روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .

وقد قيل إن قوما سقوا أعرابية شرابا مسكرا فأثر فيها فقالت : أيشرب نساؤكم هـذا الشراب ؟ فقالوا : نعم . فقالت : إذن ما يدرى أحدكم من أبوه .

وقال أحد الشعراء :

أرى كل قـوم يحفظون حريمهـم
وليس لأصـحاب النبيـذ حـريم
إذا جئتهم حيـوك ألفـا ورحبـوا
وإن غبت عنهـم سـاعة فذميـم
إخـاؤهم ما دارت الكأس بينهـم
وكلهـم رث الوصـال سـئوم
فهـذا بيـانى لم أقـل بجهـالة
ولكننى بالفاسـقين عليـم

فالسكير لا يبالى بالمحرمات ولا بالجرائم الخلقية .. و لايفرق بين ما ينفعه وما يضره ؛ فمعظم الجرائم

الخلقية قد تصدر من السكران ، سواء كانت هـذه الجرائم تتعلق بالشرف والعرض أو النفس والمـال أو غير ذلك .

ويذكر الشيخ محمود التويجـرى فى كتـابه « الدلائل الواضـحات على تحـريم المسـكرات والمفترات » أنه قد خرج بعض السفهاء من بيته ليلا وهو سكران فدخل على شـيخ ضعيف من العـامة وطلب منه أن يعمل به عمل قوم لوط فزجره الشيخ وأنكر عليه . فقال السكران : إما أن تفعل بى وإما أن أفعل بك ، فصاح الشيخ وجاء جيرانه وأخرجوا السكران من عنده .

ويقول الشيخ محمود التويجرى أيضاً : « أخبرنى من أثق به عن ابنة له ، وكان لها زوج سفيه ، وكان كثيرا ما يشرب المسكر فى بيته هو وأصحاب له من السفهاء والأراذل .. قال : فأخبرتنى ابنتى أنها اطلعت

عليهم وقد سكروا ، فإذا أحد رفقاء زوجها قد ركب على زوجها يعمل عمل قوم لوط » [٢٩] .

وكان قيس بن عاصم المنقرى شرابا للخمر فى الجاهلية ، ثم حرمها على نفسه ، وكان سبب ذلك أنه غمز « عكنة » ابنته وهو سكران ، فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه ، وفيها يقول :

رأيت الخمر صالحة وفيها
خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا
ولا أشفى بها أبدا سقيما
ولا أعطى بها ثمنا حياتى
ولا أدعو لها أبدا نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها
وتجنيهم بها الأمر العظيما

---

(٢٩) د. صالح بن عبد العزيز آل منصور : موقف الاسلام من الخمر ص ٣٩

وروى عثمان بن عفان أنه قال : « اجتنبوا الخمر فإنهـا أم الخبائث .. إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتهـا فقالت له إنها تدعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها ، فطفق كلما دخـل بابا أغلقتـه دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على أو تشرب من الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام . قال : فاسقيني من هذه الخمر كأسا ، فسقته كأسا ، فقال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس » ..

فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمـان وإدمان الخمـر إلا ليوشـك أن يخـرج أحـدهما صاحبه » (٣٠) .

* * *

---

(٣٠) رواه النسائي .

(ج) المضار الاجتماعية :

يتسبب الإدمان على الخمور والمخـــدرات فى مشكلات اجتماعية لها طابعها ومضاعفاتها الصحية ، وإذا ما تصفحنا أى تعريف للمشكلة الاجتماعية نجد أنه ينطبق على الإدمان ؛ ومن هذه التعاريف القــول بأن المشكلة الاجتماعية تتناول قطاعات من المجتمـع وفئات من أفراده وتحول بينهم وبين قيامهم بأدوارهم الاجتماعية وفق الإطار العام المتفق عليه والذى يقع على المستوى العادى للجماعة (٣١) . والإدمان يعوق المدمنين عن الوفاء بالتزاماتهم حيال أنفسهم وأسرهم ومجتمعاتهم .

ولكى يزداد مفهوم الإدمان كمشكلة اجتماعية صحية فى الذهن ، يجدر أن تكون على بينة من عدة أمور ، من أهمها الأضرار الناجمة عن الإدمان والتى

---

(٣١) د. محمد عبد المنعم نور : المجتمع الانسانى مكتبة القاهرة الحديثة القاهرة سنة ١٩٧٠ م ص ١٢٧

تعمل على تهديد صحة الإنسان ، الأمر الذى يتطلب يقظة من جانب المجتمعات والحكومات لاتخاذ التدابير الفعالة لوقف تيار هذا الداء الوبيل على المستوى الفردى والأسرى والمجتمعى .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن العملية الإدمانية إذا ما تأصلت فى المدمن اتخذت لنفسها طابعاً « مجزيا » من وجهة نظره ، يستعين بها ويتدرج فى زيادة جرعاتها هروبا من واقعه وتسكينا لآلامه ، وتخفيفا لمتاعبه وما يتعرض له من ضغوط ، ولا يخفى ما لهذا المسلك السلبى من نتائج اجتماعية غير مرغوب فيها من جانب المجتمع .

يضاف إلى ما تقدم نقطة أخرى وهى المتصلة بنتائج رفض المجتمع للإدمان والمدمنين ، فإن قيام الغالبية بنبذ هؤلاء المدمنين يدفعهم إلى « انعزالية » تؤدى إلى تكوين ما يسمى بالجماعات الفرعية أو « الشلل » بقيمها

الانحرافية وعاداتها التى لا تلقى ترحيبا عند الغالبية فى المجتمع . ولا يخفى ما لمثل هذه الجماعات الفرعية من آثار مجتمعية سيئة ومالها من تأثيرات فردية .. ومن هذه التأثيرات الفردية قيامها بدعم السـلوك الإنحرافى عند المدمنين وإضعاف الضبط وسبل العلاج لهذه المشكلة . وإن فى إطراد وانتشار ظاهرة الإدمان ما ينبه الأذهان إلى ضرورة اتخـاذ إجراءات أكثر فاعليـة وشـمولا من الأسـاليب التقليـدية فى مواجهتها (٣٢) .

إن الخمر من أكبر عـوامل التفـرقة والتفكك للمجتمع الذى ينشده الإسلام الذى يقول :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٣٣) .

فالخمر سبب لوقوع العـداوة والبغضـاء بين

---

(٣٢) د. محمد عبد المنعم نور : الطب والمجتمع. ص ١٥٥ — ١٥٦ .

الأهل والأحباب والاخلاء ؛ فشارب الخمر يسكر فيفقد العقل الذى يمنع من الأقوال والأعمال القبيحة التى تسوء الناس كما يستولى عليه الفخر الكاذب ويسرع إليه الغضب الباطل ، وربما حصل منه القتل أو القذف ؛ وكثيراً ما يجتمع الشراب على مائدة الشراب فيثير السكر كثيراً من ألوان البغضاء بينهم وربما نشأ بينهم القتل أو الضرب أو الفسق والفجور ، فكم قتل السكير من نفس بريئة ؛ وكثيراً ما يقود السكران سيارته فيقصف بها الأرواح البريئة ؛ وكثيرا ما يعبث بالأعراض الطاهرة فيفرق بين الأسر ويزرع العداوة بينها فتجد الناس دائماً فى قلق لا يأمنون فى مجتمعهم .

والخمر أعظم وسيلة لإفشاء الأسرار ، وعليها يعتمد الجواسيس فى الوصول إلى أغراضهم السياسية .

وجماع الأمر كله ، الخمر داء المجتمعات وسرطان الأمم .

٦ ــ علاج المشــكلة

يمكن القول بأنه لا يكفى أن نقول إن الخمور والمخدرات مشكلة وأنها تضر بصحة الإنسان وخلقه والمجتمع الذى يعيش فيه ودينه الذى يدين به ، بل لابد من علاج لهذه المشــكلة الضــارة بالفــرد والمجتمع .

ولا يأتى علاج هذه المشكلة إلا بوجود ضوابط اجتماعية قادرة على جعل العلاج ناجعا فى هذا المجال .. هذه الضوابط الاجتماعيــة تعــرف بأنهــا كافة التدابير والإجراءات التى يتخــذها المجتمع لحمــل أفراده وجماعاته على الانسجام مع القواعد المألوفة والمعايير المتفق عليها والتشريعات السائدة المعمــول بها (٣٣) ؛ ويحق للمرء أن يتساءل ــ فيما يتعلق بكنه

---

(٣٣) د. محمد عبد المنعم نور : الطب والمجتمع ص ١٦٠

ظاهرة الإدمان — فهل هى يا ترى مسألة قانونية أم طبية أم اجتماعية أم دينية ؟

والواقع أنها مزيج من كل هذه الأمور . فالمدمن فى مجتمعه يعد خارجا على القانون ، وهو بحاجة إلى ضوابط وإجراءات عقابية لزجره ولكى يتاح له فرص العلاج ، كما أنه من الوجهة الاجتماعية يلفظه المجتمع ويعد منحرفا انحرافا غير مرغوب فيـــه مجتمعيـــا ، فضلا عن مخالفته للقواعد الدينية وبخاصة من وجهة النظر الإسلامية التى تحرم وتحارب تعاطى وإدمان الخمور والمخدرات بمختلف أشكالهما .

ويعد الضبط الاجتماعى الدينى أقوى الضوابط فى مجال الحد من التعاطى والإدمان . ويؤكد لنـــا المؤرخ المشهور « أرنولد توينبى » فى كتابه « محاكمة الحضارة » على أثر الإســـلام فى محـــاربة الإدمان الكحولى فيقول : « إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من ربقة الكحول عن طريق الاعتقاد

الدينى العميق .. والتى استطاعت بواسطته أن تحقق ما لم يمكن للبشرية أن تحققه فى تاريخها الطويل حيث استطاع الإسلام أن يحقق ما لم تستطع أن تحققه القوانين المفروضة بالقوة من خارج النفس » .. ويستطرد « توينبى » فيقول : « إن الإسلام يستطيع أن ينقذ الإنسانية من تأثير المجتمعات المدنية الغربية التي تبث شباكها فى أنحاء العالم أجمع » (٣٤)

وإنا لنتفق مع « توينبى » فى رأيه أن الإسلام هو علاج مشكلة الخمور والمخدرات . إذ يحرص الإسلام على المحافظة على الإنسان ، وتوفير كل مقومات الحياة له ويحرم الاعتداء عليه أو إهدار كرامته بأى صورة من الصور . فهو يحمى ما يسميه الفقهاء بالضرورات الخمس أو الكليات الخمس وهى :

---

(٣٤) المرجع السابق ص ١٦١

١ ــ حياة الإنسان ؛ فيحرم قتله أو الاعتداء عليه وما يضر بصحته .

٢ ــ وعرضه ؛ فيحرم الزنا وما يؤدى إليه .

٣ ــ وعقله ؛ فيحرم شرب الخمر وكل ما يذهب العقل أو يفسده .

٤ ــ وماله ؛ فيحرم السرقة وما يشابهها .

٥ ــ ودينه ؛ فيحرم الردة أو الدعوة إلى توهين العقيدة [٣٥] .

وإذا نظرنا إلى آثار الخمور والمخدرات ومضارها فسوف نجدها تهدد هذه الضرورات الخمس تهديداً خطيراً ومن أجل هذا حرمها الإسلام . وبذلك كان أول من أنقذ الإنسانية من مخالب هذا الداء الخطير إذ أخذ على أيدى المتعاطين والمدمنين وجعل عقابهم

---

(٣٥) توفيق على وهبة : الجرائم والعقوبات فى الشريعة الاسلامية ص ١١٧

شديداً ، محافظة على حياتهم وأعراضهم وعقـولهم وأموالهم ودينهم وأولادهم وأسرهم ومجتمعهم .

والذى يعرف عمق المشكلة وخطورتها فى عـالم اليوم ، يعرف أنه لا حل لها إلا بالعودة إلى طريق الله . إلى ذلك الطريق الرحب الوارف الظلال الملتف الأغصان . وإلا فهى متاهات وفياف ومفازات قل أن ينجو منها أحد .. وإلا فهى حياة القلق والقـرف والضيق والمخدرات والخمر والأفيـون والحشيش والحياة الضنك ..

« ومـن اعـرض عن ذكـرى فان له معيشـة ضنكا » (٣٦) ..

فليس هناك من سبيل وطريق إلا طريقاً واحـداً وسبيلا واحدا هو طريق الله .. للخلاص من مشكلات التفاهة والتمزق والضياع ..

---

(٣٦) سورة طه : ١٢٤

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (٢٧) ..

لقد حرم الإسلام الخمر بآية واحدة جعلت العرب الذين كانوا أهل إدمان ومعاقرة لهـا فى الجاهليـة يريقون دنانها فى طرقات المدينة .

كما حبب الإسلام أن يشغل الإنسان نفسه فيما يعود عليه وعلى أمته بالنفع ولا يترك وقته ليضيع بين الخبائث والموبقات وطلب تعليم الشباب ما ينفعهم من علم ومعرفة وثقافة وتربية رياضية ، فالخليفـة عمر ــ رضى الله عنه ــ يقول :

« علموا أبنـاءكم السـباحة والرماية وركوب الخيل » . فإذا ما شغل الشباب أنفسهم بهذه الأمور وبأمور دينهم واتبعوا تعاليم القرآن والسنة تجنبوا الوقوع فى المنكر وغنمت أمتهم وسعدت بهم .

---

(٢٧) سورة الانعام ١٥٣

وأختم كلمتي ببيت من الشعر للإمام ابن الوردي :

واهجر الخمرة إن كنت فتى
كيف يسعى في جنون من عقل

والله الهادي إلى سواء السبيل ..

* * *

رقم الايداع : ٣٠٩٦ / ١٩٨٧

مطابع المختار الإسلامي